ملامح وكنوز في شخصية عبد الرحمن الجيلالي الجزائري»

الدكتور: سليمان ولدخسال،

كلّية الحقوق جامعة المدية

تمهيد: الحمد لله الذي به تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من بعث رحمة للعالمين، وبعد: إن التأمل في شخصية العلامة المؤرخ الجزائري عبد الرحمن الجيلالي يعود إلى سنوات الدراسة في مرحلة الليسانس عندما كنت طالبا في كلية العلوم الإسلامية للجزائر، فقد درست عنده مادة مصطلح الحديث، ورأيت في تلك المرحلة الكثير من الملامح التي تميّزت بها شخصيته، والتي انطبعت في ذاكرتي ووجداني.

ويشاء القدر أن أصل في دراستي إلى مرحلة الدكتوراه، وأن أبحث فيها عن فترة تاريخية زاهرة من فترات تاريخ الجزائر، وهي الفترة التي امتدت ما بين القرن السابع والعاشر الهجريين، وفيها اكتشفت الكثير من روائع الجزائر، والعديد من الكنوز والفوائد المعرفية والتاريخية، وكان الفضل في ذلك يعود إلى عميد المؤرخين في الجزائر الشيخ عبد الرحمن الجيلالي، وعندها زادت قناعاتي برسوخ قدم الشيخ وعبقريته الفذة التي تجاوزت حدود الزمان والمكان، ولكن بتواضع وهدوء ورهافة حس لا صخب فيه ولا إشهار، ولعل هذه المداخلة تحاول أن تجيب عن بعض ما خفي من شخصية هذا العالم، وهذا من خلال ملاحظات وانطباعات وتأملات عاينتها في أكثر من عقدين من الزمن.

أولا: ملامح في شخصيته الإنسانية: تبرز هذه الملامح في عناصر عدة، لعل أهمها ما يلي:

1- **تواضعه ونبله:** إن فترة تتلمذي عند الشيخ عبد الرحمن الجيلالي لم تتعدّ

سنة واحدة، ومع ذلك استطعت أن ألمح بعضا من صفات هذا الشيخ العالم الأخلاقية، فقد كان رحمه الله تعالى آية في التواضع، ومثالا في السمت والورع، ونموذجا في خفض الجناح واللين، وهذا في الحقيقة دأب العلماء العاملين، وديدن الراسخين في العلم، وما شهدنا منه طول مدة الدراسة إلا الأدب والعلم، وما غضب منا يوما، ولا رفع صوته سخطا أو صخبا، وكيف يفعل ذلك، وقد كان قدوة في الحياء وغض الطرف وحب الغير.

لقد كان الشيخ معترفا في عزة بفضل من درَّسوه اعتراف المؤمن المتواضع، فقد قال ذات يوم في حق أحد شيوخه:« وكان أول ما عرفته كمدرس في الجامع الأعظم -ويعني بذلك الشيخ أبا القاسم الحفناوي- فلازمته كتلميذ ملازم لدروسه على اختلاف مواضيعها فكان الفتح على يده رحمه الله والحمد لله».[1]

وكان يقول الشيخ عن نفسه:« لا أزال أعد نفسي تلميذا وطالب علمي»[2]، إن هذه العبارات تنم عن رجل عالم ومتواضع، محب للعلم، محب لأهله، ولقد استمر على هذه السيرة حتى وافاه الأجل بعد عطاء دام قرابة ثمانين سنة.[3]

2- لباسه وأناقته: لقد رأيت الشيخ يلبس لباسا يجمع فيه بين الأصالة والمعاصرة، لباسا أنيقا ونظيفا، فلقد كان رحمه الله تعالى مثالا في الطهارة والنقاوة، متمثلا قوله تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [المدثر: ٤].

وما رأيت رأسه عاريا، فقد كان يغطيه دائما بقبعة صوفية رمادية أو سوداء اللون حسب لون بدلته، مثله في ذلك مثل الكثير من مشايخ الجزائر، كالشيخ

(1) عبد الرحمن الجيلالي، أبو القاسم الحفناوي الديسي، الندوة الأولى التي أقيمت بمسقط رأس العلامة الحفناوي، الديس، مدينة بوسعادة، الجزائر، 05 جويلية، 2006م، ص07.

(2) حفيظة بلميهوب، الشيخ عبد الرحمان الجيلالي، حياته وآثاره، مقال بالملتقى الوطني الذي انعقد بجيجل بمناسبة ذكرى وفاة الشيخ أحمد حمّاني، في صيف 2011، ص15.

(3) المرجع نفسه والصفحة.

العلامة أحمد حمّاني رحمه الله تعالى.

ويبدو أن الشيخ عبد الرحمن الجيلالي كان متأثرا في ذلك بشيخه الألمعي المحقّق الدكتور محمد بن أبي شنب، الذي وصفه الزاهري بقوله:« ...فاستغرب الناس في تونس أن يكون عالما جزائريا –أي: ابن أبي شنب- غير متجنّس بالجنسية الفرنسية رئيسا مشرفا على لجنة علمية فرنسية يرأس جلساتها بملابسه الجزائرية وبزيّه الجزائري... »[1]، وكذلك كان الشيخ عبد الرحمن الجيلالي، إذ لا تراه إلا في زيٍّ جزائري لا يكاد يخرج عن شكله، ولكن في أناقة عالية، وفي عزّة وتواضع.

3- مشاعره وأحاسيسه: إن مشاعر الشيخ وأحاسيسه اتجاه دينه وبلده وشعبه، لا شك أنها كانت صادقة، جيّاشة، محبّة، إلا أني في هذا المقام أعني بهذه المشاعر تلك الأنفاس الحزينة التي كان يطلقها الشيخ في أحيان نادرة، متمثلا فيها قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿ **وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي** ﴾ [الشعراء: ١٣].

لقد توقف الشيخ ذات مرة عن الدرس برهة من الزمن، ولعلها ساعات تنفيس، وقرأ علينا فيها بعض الأبيات الشعرية والتي لم أحفظها مع الأسف، ولكننا شعرنا في ذلك كطلبة أن الرجل يعيش في حزن وفي غربة وإن كان موجودا في وطنه، و لم نعرف في ذلك سبب حزنه وأسفه، ولكني أكاد اليوم أجزم أن الرجل أحس بالتهميش كعادة علماء المغرب الإسلامي قديما وحديثا، فإنهم لا يشتهرون إلا إذا شهر بهم المشارقة، وكم تطوى صفحات الكثير من العمالقة في صمت لا يكاد يذكر أو يعرف.

ولعل كتابات الشيخ عبد الرحمن الجيلالي عن عظماء هذا البلد بذلك الأسلوب

(1) عبد الرحمان الجيلالي، محمد بن أبي شنب وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1983، ص102.

الرقيق الصادق، يترجم عن مدى رهافة مشاعره ونبل أحاسيسه، يقول ابن العابد: « ...أهدانا الألمعي الأديب ذو الفضل والإحسان الأخ السيد عبد الرحمان الجيلالي كتاب ذكرى العالم العلاّمة الأستاذ محمد بن أبي شنب...جوزيت يا عبد الرحمن على اعترافك بالإحسان، لقد ذكّرتني ذلك الخليل الوفيّ وأبكيتنيه وإن كنت ممن لا ينسى تلك الأزمنة القليلة التي كان كل منّا فيها ألزم لصاحبه من ظله بالجزائر...ذكّرتي يا عبد الرحمن حفظك المنّان عهدا وصلت فيه مودّتنا الإيخائية بحبال لا تفصم ولو فصله ظاهرات الموت».[1]

ثانيا: ملامح في شخصيته العلمية: وتظهر في نقاط عدّة منها:

1- تنوع معارفه وثقافته: بالرغم من أنّ الشيخ عبد الرحمن الجيلالي لم تتح له الفرصة للسفر إلى خارج الوطن طلبا للعلم والمعرفة، إلا أنّ قوّة استفادته مما هو متاح في الوطن الأمّ، وشدّة حرصه، واحتكاكه بعلماء عصره وأقرانه من أهل العلم، ثم انفتاحه على علوم عصره، كلّ ذلك مكّنه من أن يكتسب تنوعا معرفيا وثقافيا ثريّا، بل وقد استطاع أن يبرز في بعض الفنون، وأن يكون له فيها قصب السبق، ولو أتيح له أو لعائلته طبعة ما هو غير منشور لظهر أنّ ما طبع من قبل هو قليل من قليل مما هو في أرشيف مترله، فضلا عن أنه في حال طبعه، سيعطي للقارئ الصورة الحقيقية والعامة التي تترجم مدى ثراء ثقافة الشيخ رحمه الله تعالى.

إن الشيخ عبد الرحمن الجيلالي كان عالما شرعيا، برز ذلك في تمكنه من علوم القرآن والسنة والفقه والأصلين[2]، كما كان مؤرخا متميزا نال بكتابه تاريخ الجزائر العام الجائزة الأدبية الكبرى للجزائر، عام 1955م[3]، وكان أيضا أديبا،

(1) عبد الرحمن الجيلالي، محمد بن أبي شنب، حياته وآثاره، المرجع السابق، ص128.

(2) حفيظة بلميهوب، المرجع السابق، ص24 وما بعدها.

(3) المرجع نفسه ص24.

ألف في المسرح والموشحات، ومنها مسرحية «الهجرة ودار الندوة»[1]، وذكرى مضي تسعة قرون على ميلاد الغزالي[2]،وكتب أيضا في فن العمران والتصوير والرسم[3]، واشتغل بالإعلام المسموع منه والمرئي.[4]

ويبدو أن الثقافة المتنوعة هي التي أهّلته لأن ينجح في حصصه الإذاعية، بحيث كان يختار الأسلوب البسيط السهل الممتنع، الذي يفهمه السواد الأعظم من الشعب الجزائري، فضلا عن القضايا التي كانت تشغل بال الكثيرين في ذلك الوقت، ذلك أن الفقيه الناجح هو الذي يجمع بين فقهه ودرايته للعلوم الشرعية، وبين فقهه لواقع الناس وما يعايشونه.

2- اعتماده على النوعية وليس على الكمية في كتابته: يبدو أن الشيخ عبد الرحمن الجيلالي لا يقرر طبع كتاب إلا إذا نقحه ودققه، وربما تردد وانتظر ردحا من الزمن، ولهذا كان المطبوع مما كتبه قليلا، وهو في ذلك شأنه كشأن بقية الكثير من علماء المغاربة قديما وحديثا بحيث لا يكثرون، ولكنهم إذا كتبوا تفننوا وأجادوا وأبهروا.

إن الإمام الشاطبي لا يذكر إلا بكتابه الموافقات، والونشريسي بمعياره، والقاضي عياض بالشفا، وكذلك شيخنا عبد الرحمن الجيلالي الذي اقترن اسمه بكتابه الموسوم بتاريخ الجزائر العام، فلقد اشتهر كتابه في هذا العصر شهرة تخطت حدود المكان، وإني لازلت أذكر بنوع من الاعتزاز عندما زرت جمهورية مصر العربية، وبحثت في بعض الرسائل العلمية المتعلقة بالماجستير أو الدكتوراه، لاحظت على هؤلاء الباحثين شدة اعتمادهم على كتاب تاريخ الجزائر العام، يقول الدكتور عمار

(1) عبد الرحمن الجيلالي، الهجرة، ودار الندوة، مجلة الأصالة، الجزائر، العدد 31، ص113 إلى ص131.

(2) حفيظة بلميهوب، المرجع نفسه، ص26.

(3) المرجع نفسه، ص28.

(4) المرجع نفسه، ص19 وما بعدها.

طالبي:« والشيخ عبد الرحمن الجيلالي من الرواد القلائل الذين كتبوا تاريخ الجزائر من مؤرخي هذا الوطن في القرن الماضي... ».[1]

ولقد أوصل الشيخ بكتابه هذا الجزائر إلى مصاف الدول التي تعتز وتستقل بتاريخها وأمجادها، أو كما قال رحمه الله:« وأعتقد أني بذلك خلّصت تاريخنا الماجد من أن يبقى مكتوبا عرضا ضمن تاريخ الأمم والشعوب والأقطار المستعمرة، أو أن يكون كفصل ملحق بكتاب مبعثر مشوه العرض، أرجوا ذلك إن شاء الله».[2]

3- اجتهاده في تحضير المحاضرات: لعل من أعظم الملامح التي بدت لي في شخصية العلامة عبد الرحمن الجيلالي، اجتهاده وإخلاصه في تحضير المحاضرات وعرضها علا الطلبة، لاحظت ذلك عندما درست عنده علم مصطلح الحديث، فقد كان الشيخ حريصا بأكبر قدر من المعلومات الشرعية، وحتى عدد الأحاديث التي رويت -مثلا الأحاديث التي رواها الإمام البخاري- بالرغم من أن الشيخ بلغ من العمر عتيّا، وضعف بصره، حتى إنه كان يستعين بالعدسة المكبّرة لقراءة المحاضرة دون ملل أو تأفف، عليه رحمة الله تعالى.

ويبدو أن سر نجاحه يعود على اعتماده على نفسه، فكسب بذلك دربة وملكة، ثم إلى زوجته التي كانت تعينه على التحضير الجيّد، ولهذا قال رحمه الله تعالى: «وليس لأحد بعد الله عزّ وجل فضل أو منّة إلا ما أنا مدين به للكتب ومؤلفيها الأعلام، وهم الذين ذكرتهم منوّها بأسمائهم...أو ما أنا مقرّ به لربّة البيت والعفاف الجليلة الكريمة قرينتي وشريكة حياتي ورفيقتي في السير...من المؤازرة العظيمة فيما كانت تمدّني به من تحقيقات تاريخية وبحوث نفيسة تستخلصها من مطالعاتها المستمرّة وقراءاتها المتتابعة لكتب الإفرنج الباحثين في موضوع تاريخ الجزائر،

(1) التصدير الذي كتبه الدكتور عمّار طالبي في تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، ط08، 2009م، ج01، ص22.

(2) تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، ط06، 1403هـ/1983م، ج01، ص05.

فكانت رحمها الله تلخصها وتترجمها إلى العربية طيلة أيام إعدادنا لهذا التأليف وجمع شتاته من أوّله إلى آخره».[1]

وعندما طلب منه أن يكتب عن تاريخ بعض المدن الجزائرية استشعر عظم المسؤولية فقال: « فأكبرت اقتراحهم هذا وأجللته بقدر ما أكبرتهم هم في نفسي، وأجللتهم وعظم عليّ الموضوع، وهالني الأمر، وثقلت عليّ المسؤولية، وارتبك عليّ الموقف !..... فتوقفت طويلا مترويّا ومتربّصا».[2]

ثالثا: كنوزه المعرفية: يبدو أنّ الشيخ عبد الرحمن الجيلالي قد بذل جهودا مضنية وجبارة في تأليفه لتاريخ الجزائر العام، ولذلك فقد توصل إلى نتائج معرفية باهرة، بحيث استطاع أن يزيل اللثام عليها فبدت واضحة، ناصعة، وهذه النتائج يمكن الاصطلاح عليها بأنها كنوز معرفية.

ولقد توقفت على هذه الحقائق عندما كنت بصدد الإعداد إلى أطروحة الدكتوراه التي بحثت فيها فترة تاريخية من فترات تاريخ مغربنا الإسلامي هي فترة القرن السابع والعاشر الهجريين، حيث أفدت كثيرا من الجزء الثاني من كتاب تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي رحمه الله، وسأكتفي ببيان بعض هذه الكنوز التي لاحظتها وهي:

1- اكتشافه للكثير من المصادر والمراجع العلمية: وهذا الاكتشاف منه، أو إبرازه لمثل هذه المصادر ينمّ على قوّة بحثه، ونفسه الطويل، فضلا عن أنّه بهذا الجهد الجليل كان يرمي إلى الإشادة بتاريخ ومفاخر الجزائر، ومن هذه المصادر التي لاحظتها في كتاب الشيخ، حديثه عن كتاب تخريج الدلالات السمعية للإمام الخزاعي التلمساني[3] الذي طبع وحقّق فيما بعد من طرف الأستاذ إحسان عبّاس،

(1) المرجع نفسه، ج02، ص06.

(2) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث، دراسات وأبحاث، الجزائر، ط02، 1392ه/1972م، ص07.

(1) عبد الرحمن الجيلالي تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق، ط06، ج02، ص130 وما بعدها، وانظر أيضا: سليمان ولد خسال،

وتميّز هذا الكتاب في كون مؤلفه من الجزائر، وهو من المصادر المباشرة في باب السياسة الشرعية، فضلا عن أن صاحبه، اعتمد على طريقة التأصيل الشرعي وبهذا فإنه يكون قد تميّز عمّا كتبه المشارقة الذين لم يكونوا يؤصّلون، كالإمام الماوردي وابن الفرّاء والجويني ...وغيرهم.

ومن المصادر أيضا ما ألفه السلطان أبو حمّو الزياني في السياسة الشرعية «واسطة السلوك في سياسة الملوك»[1]، صنفه لابنه وولي عهده، وقلّ في الإسلام نظير لمثل هذا الكتاب، لأن مؤلفه جمع بين السياسة والعلم، وبين الحكم والتأليف، وأشار الشيخ عبد الرحمن الجيلالي إلى أن هذا الكتاب ترجمه إلى الإسبانية المستشرق ماريا نو كاسانا سنة 1899م[2]، والمصدر الثالث هو لمؤرخ فرنسي اسمه Mas latrie أمّا مؤلفه فموسوم بـ: معاهدات السلم والتجارة، ووثائق متنوعة تتعلق بالعلاقات المسيحية مع دول المغرب العربي في العصر الوسيط[3]، وهو كتاب يتناول تاريخ العلاقات الدولية بين دول المغرب العربي والعالم المسيحي ما بين القرن السابع والعاشر الهجريين، لكنه لم يُترجم إلى اللغة العربية، لهذا قلت في توصيات[4] الأطروحة بضرورة ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية قصد الاستفادة منه في مواضيع العلاقات الدولية، فضلا عن أن هذا الكتاب المتكون من مجلدين موجود إلى اليوم في المكتبة الجامعية بالجزائر.

2- قيادة المغاربة للعالم الإسلامي ولو لفترة مؤقتة[5]: هذا ما نوّه به الشيخ عبد الرحمن الجيلالي عندما تمكن المغاربة زمن الدولة الحفصية أن يحكموا العالم

جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي، أطروحة الدكتوراه، جامعة الجزائر، ص58.

(1) سليمان ولد خسال، المرجع نفسه، ص33.

(2) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق،ط06، ج02، ص181.

(3) المرجع نفسه، ج02، ص64.

(4) سليمان ولد خسال، المرجع السابق، ص487.

(5) المرجع نفسه، ص231.

الإسلامي وهذا لأول مرّة في تاريخ المسلمين، بالرغم من أنّ بعض المؤرخين من المغاربة لم يقدّر حجم هذا الإنجاز[1]، إلا أن أثر البيعة ظهر سريعا عبّر عن إمكانية قيادة المغاربة للعالم الإسلامي لفترة أطول، لولا الاهتمامات الداخلية وتنافس السلاطين على حب الدنيا وتوسعة الملك[2].

يقول الشيخ عبد الرحمن الجيلالي: «وبما أن الحكومة مالكية المذهب، ومالك يرى أن مبايعة أهل الحرمين –مكة والمدينة– كافية لانعقاد البيعة الكاملة التي يستأهل الخليفة بها إماما لعامة الناس، فبايعه بنو مرين تقية ريثما استوثق الأمر لسلطانهم يعقوب المريني فنبذوا عهد الحفصيين، كما قبل بيبرس الدّعوة له في مصر سنة 658هـ قبل أن يستخدم الخليفة العباسي...ودخل أهل إشبيلية وغيرها من بلاد الأندلس والشام في دعوة الحفصيين أيضا، فاخترق حينئذ صيتهم البلاد وخشيتهم أمم أووربا فباتت تخطب ودهم، وأبرمت في ذلك معاهدات سلم بينها وبين القصر الحفصي منها معاهدة فريدريك إمبراطور الألمان لمدة عشر سنوات، ومعاهدة أوهان سطوفان ملك صقلية».[3]

3– جمعه بين الموضوعية والدّفاع عن هوية وطنه: إن الجمع بين الموضوعية في البحث، والذاتية التي ينطلق منها الباحث ليس بالأمر المتاح لكلّ واحد، وإنّما هو أحد المظاهر البارزة في نجاح وصدق الباحث المتمرس، والشيخ عبد الرحمن الجيلالي هو أحد هؤلاء الذين تمكنوا من السيطرة على هذا المبدأ القوي، ولعلّ من أبرز

(2) ومن هؤلاء محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/1986م، ص194 وما بعدها.

(3) يقول المؤرخ حسين مؤنس: "ولو أنه انتظر قليلا لكان بالفعل وارث الخلافة العباسية، ولكنه على أي حال رأى أن يبادر بالأمر لأنه كان يسير في حكمه على سياسة الجاه والمظهر، وكان شديد الاهتمام بكل ما يضفي عليه أبهة وفخامة"، تاريخ المغرب وحضارته، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط01، 1412هـ/1992م، المجلد02، ج03، ص226، وكلام هذا المؤرخ في غالبه صحيح، إلا أن العجلة في الخلافة لم تكن بمبادرة من السلطان الحفصي، وإنّما جاءت إليه دون طلب منه كما هو في كتب التاريخ المعتمدة كالعبر مثلا.

(3) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق،ط06، ج02، ص49.

الأمثلة على ذلك، أنه بالرغم من وقوفه مع الدّولة الزيانية التي تمثل بلده الجزائر، ونقده في كثير من الأحوال لتلك الهجمات التي نفّذتها الدولة المرينية التي كانت موجودة في المغرب الأقصى، إلا أن الشيخ كان ينصف هذه الدولة إذا ما بدر منها أمر مشرّف، لهذا كان يعتقد المؤرخ عبد الرحمن الجيلالي[1] أن تلقب المرينيين بلقب أمير المسلمين، إنما كان تأدبا وتمييزا له عن لقب «الخليفة بالمشرق»، ويؤكد أن لقب السلطان لم يزل فاشيا في ملوك المغرب الأقصى منذ تلقب به المرينيون إلى اليوم.[2]

وبنفس الرّوح العلمية تعامل مع الدّولة الحفصية التي كانت موجودة بتونس، فقد قال منوِّها باللغة العربية:« ولعل ما يستحقّ التنويه[3] أنّ جميع أعمال الدولة كانت تدوّن باللسان العربي المبين، حتى إنّ ذلك أدّى إلى جمهورية بيزا الإيطالية على وضع نص المعاهدة التّجارية التي قدّمتها للدولة الحفصية سنة 664هـ، باللغة العربية».[4]

والشيخ عندما ينقد المستشرقين أو الغربيين فإنّه يستعمل معهم النقد البنّاء فيذكر ما يصلح من أقوالهم، ويخالفهم فيما يرى أنه خطأ منهم، ومن ذلك أن الشيخ رحمه الله لاحظ أنّ المؤرخ ماس لاترى Mas latrie وازن وقارن بين فضائع القرصنة المسيحية والإسلامية، فاستنتج أن المسيحيين يتحملون قسطا وافرا من النهب والتدمير الذي ارتكب باسم القرصنة البحرية والذي ينسب إلى المغاربة وحدهم.[5]

ويعتقد الشيخ عبد الرحمن الجيلالي[6] أن هذا المؤرخ أخطأ عندما نسب هذا

(1) سليمان ولد خسال، المرجع السابق، ص111.
(2) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع نفسه،ط06، ج02، ص98.
(3) سليمان ولد خسال، المرجع نفسه، ص164.
(4) عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ط06، ج02، ص98.
(5) المرجع نفسه، ص64.
(6) سليمان ولد خسال، المرجع السابق، ص298.

العمل الشنيع إلى الأديان، لأن القرصنة ليست هي في شيء من الدّين، وإنّما هي تطاول على الغير، حبّا في الأثرة والغلبة، وقد تكون دفاعا وذبّا عن الحمى، وحينئذ تلحق بباب الجهاد والحرب ولكل منهما حدود وقوانين.[1]

4- تأسيسه لكتابة تاريخ الجزائر بشكل مستقل: وقد ظهر هذا التأسيس في مراحل عدة، لعل أبرزها فترة ما بعد الموحدين، أين حاول أن يميز الجزائر عن غيرها من دول المغرب الإسلامي برغم تشابك العلاقات والصّلات، وهي لفتة قويّة لاحظها المؤرخ الجزائري الكبير أبو القاسم سعد الله، فقال:« ومن فضائل هذا الكتاب أيضا -وهي كثيرة- أنّه يعالج تاريخ الجزائر كوحدة سكّانية وجغرافية رغم صعوبة ذلك في الفترة السابقة للعهد العثماني، فالتاريخ القديم لبلاد المغرب والدول الإسلامية الأولى من الرستمية إلى الحفصية كانت دولا لا حدود لها وسكّانها هم سكّان بلاد المغرب بالمفهوم القديم "البربر"...فالوحدة كانت سكّانيا وجغرافيا مغاربة بلغة اليوم، واستخلاص الجزائر "المغرب الأوسط"، أمام هذه التطورات أمر صعب، ولعلّه ضدّ طبيعة الأشياء، ومع ذلك حاول الجيلالي أن يجمع المبعثر، ويرسم الجسور، ويجعل الجزائر تاريخا واحدا وموحّدا معجونا بدماء أبنائها، ومجدولا بخيوط حضارتهم عبر العصور» [2].

(1) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع نفسه،ط06، ج02، ص64.

(2) تاريخ الجزائر العام، ج01، ص20، التصدير الذي كتبه الدكتور سعد الله في الطبعة الثامنة.

الخاتمـــــة

أعتقد كخاتمة لورقتي البحثية هذه، أنها انطلقت من معطيين اثنين: أما المعطى الأول فهو مرحلة التتلمذ عند الشيخ عبد الرحمن الجيلالي رحمه الله، وأما المعطى الثاني فهو مرحلة التحضير لأطروحة الدكتوراه والإفادة من كتابه الرائع «تاريخ الجزائر العام»، وعلى ضوء هذين المعطيين أمكن التوصل إلى النتائج التالية:

1- أنه برغم نقص المراجع التي تتحدث عن جوانبه الشخصية، إلا أني تمكنت من الوصول إلى بعض أخلاقه كالهدوء والتواضع، وإلى هيئة لباسه، كل ذلك من خلال المعايشة والمشاهدة، وعلى هذا فإن تلك الملامح التي سجلتها سواء كانت أخلاقية أو علمية، إنما هي أقرب إلى الشهادة وألصق بها، منها إلى اقتباسات من المراجع والكتب.

2- أن حب الشيخ للجزائر وللعربية وللإسلام، لا يحتاج إلى البرهنة فهو واضح، ظاهر، باد للعيان من خلال ما كتبه، ومن خلال مواقفه، فلقد عاش الشيخ عمره لخدمة الإسلام والجزائر، عليه رحمة الله.

3- أنّ الشيخ برغم أنّه لم يدرس في الجامعات، ولا أتيحت له الفرص للتتلمذ خارج الوطن، إلاّ أنّ توكله على الله تعالى، واعتماده على نفسه، واستعانته بأمّ أولاده مكّنه من أن يصل إلى مصاف الكبار ومراتب العظماء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه

قائمة المراجع

1- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، العصر الحديث، للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط01، 1412هـ/1992م.

2- حفيظة بلميهوب، الشيخ عبد الرحمن الجيلالي، حياته وآثاره، مقال بالملتقى الوطني الذي انعقد بولاية جيجل بمناسبة ذكرى الشيخ أحمد حماني في صيف 2011م.

3- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، ط08، 2009م.

4- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط06، 1403هـ/1983م.

5- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث، دراسات وأبحاث، الجزائر، ط02، 1392هـ/1972م.

6- عبد الرحمن الجيلالي، مقال بعنوان أبو القاسم الحفناوي الديسي، الندوة الأولى التي أقيمت بمسقط رأس العلامة الحفناوي، الديس، مدينة بوسعادة، الجزائر، 05 جويلية، 2006م.

7- عبد الرحمن الجيلالي، محمد بن أبي شنب وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط.1983

8- عبد الرحمن الجيلالي، مقال بعنوان الهجرة ودار الندوة، مجلة الأصالة، الجزائر، العدد 31.

9–سليمان ولد خسال، جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي، أطروحة دكتوراه، عام 2008م، جامعة الجزائر.

10– محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية، دار الغرب الإسلامي بيروت 1406هـ/1986م.